



غرباء

المحاضرات

خطبة جمعة

2026-07-17

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مقدمة:

أيها الإخوة الأكارم: مشهد حبس الأنفاس يوم القيامة، يسمع الناس صوتاً:

{ قلنا: يا رسول الله، هل ترى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تُضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانتا صَحْوًا؟ قلنا: لا، قال: فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ في رؤية رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ في رؤيتهما ثُمَّ قال: يُنادي مُنادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلَيبِ مع صَليبيهم، وَأَصْحَابُ الْأُونَانِ مع أوثانهم، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مع آلهتهم، حَتَّى يَبْقَى مَن كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِن بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَتُبْرَأُ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهُا سَرَابٌ، فيُقالُ لِلَّهِودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قالوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزْرَبْنَ ابْنِ اللَّهِ، فيُقالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فما تُريدون؟ قالوا: نُرِيدُ أَنْ نَسْقِيَا، فيُقالُ: اشْرَبُوا، فيَسْقَاطُونَ في جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فيقولون: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فيُقالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فما تُريدون؟ فيقولون: نُرِيدُ أَنْ نَسْقِيَا، فيُقالُ: اشْرَبُوا، فيَسْقَاطُونَ في جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَن كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِن بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فيُقالُ لَهُمْ: مَا يَحْسِبُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فيقولون:

فَارْقَنَاهُمْ، وَتَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا تَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي

{ كُنَّا نَعْبُدُ }

(صحيح البخاري)

هؤلاء أيها الإخوة الكرام، الذين سينظرون إلى وجه الله الكريم، كانوا في الدنيا قد فارقوا الناس وهم أحوج إليهم، لكنهم فارقوهم لما رأوا من تغلُّبهم، ولما رأوا من بعدهم عن التوحيد، ولما رأوا من فسقهم وفجورهم وإجرامهم، فارقوهم في الدنيا، وعاشوا غربتهم في الدنيا بعيداً عن الناس غير المؤمنين، فكانت عاقبتهم يوم القيامة، أن ينظروا إلى وجه الكريم جل جلاله.

الغربة ثلاثة أنواع:

أيها الإخوة: الغربة ثلاثة أنواع، غربة دنيا، وغربة دين، وغربة وطن.

غربة الدنيا:

أما غربة الدنيا، فيشترك فيها الجميع، كل الناس غرباء في الدنيا، كلنا ضيوف على هذه الدنيا وسُعَادَرهَا يوماً، فنحن في الدنيا غرباء، من يعيش أربعين سنة فهو غريب، ومن يعيش مئة فهو غريب، كلنا غرباء لأننا نعيش زمناً يسيراً في هذه الدنيا، أما موطننا فهناك في الآخرة، نحن أبناء الآخرة، جئنا إلى الدنيا لنُقَدِّمَ السبب الذي يؤهلنا لدخول جنة ربنا، جئنا إلى الدنيا ضيوفاً، فنحن فيها غرباء، الغريب محل في أرض حينا ثم يرحل عنها، وهذه هي حالنا، لو أنك سافرت إلى بلد، ومكثت فيه أسبوعاً أو أسبوعين، تُسمَّى عند أهل هذا البلد غريباً، ونحن في الدنيا غرباء، فالدنيا دار ممر وليست دار مقر، نحن نُزُرُ في الدنيا إلى الآخرة، ويجب أن نتزود من ممرنا لمقرنا، ربنا جل جلاله قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالُوا إِنَّا نَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)

(سورة البقرة)

ثم جعل آدم عليه السلام وزوجه في جنة قريبة، ليست جنة الخلد، ثم أخرجه منها بذنب اقترفه، وكأنه يقول له: إذا أردت أن تعود إليها فأنت من أهلها، فإياك والذنوب. أيها الإخوة الأحباب: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

{ أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبِي، فقال: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيلٍ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ

تعالى عنه يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، وفي حياتك لموتك {
(أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه وأحمد)

الغريب ليس من أهل الدار:

الغريب ليس من أهل الدار، وأهل الشام كانوا يقولون: "يا غريباً كُنْ أديباً" أيها الغريب كُنْ أديباً، تأدب فأنت لست في دارك، الغريب أولاً لا يتدابر مع الناس، الإنسان عندما يستوطن مكاناً ويطول استيطانه له، تبدأ المشاكل، لكنه عندما يكون في دار ليست داره، لا يتدابر مع الناس (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ) ليس هناك ما يستأهل أن تتحاسد، وأن تتباغض، هي أيام وتمضي، هذه هي الغربة في الدنيا، لا تتدابر مع الناس، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّاكُم وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاقَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا،

وكونوا عباد الله إخواناً {

(أخرجه البخاري)

(لا تَحَسَّسُوا) التحسُّس هو شُبُّع الأخبار الجيدة، (لا تَجَسَّسُوا) التجسُّس هو شُبُّع الأخبار السيِّئة.

حال الغريب أنه لا يتدأتر مع أحد، ولا يتحاسد مع أحد.

الغريب لا يتنافس مع أهل البلد تنافساً محموماً على الدنيا:

بعد ذلك الغريب لا يتنافس مع أهل البلد تنافساً محموماً على الدنيا، يقول لك: هذه سوقهم، هذه تجارتهم، لن أدخل فيها، لا يتنافس بأخذ ما يكفيه، ونحن في الدنيا غرباء، فلا ينبغي أن يكون تنافسنا على الدنيا محموماً، فنحن نُمسِك الدنيا بأيدينا ولكننا لا نضعها في قلوبنا، نحن نتحكم فيها ولكن لا نسمح للدنيا أن تتحكم فينا، نحن نأسرها ولكن لا نسمح لها أن تأسرنا (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ) الغريب لا يتنافس، يأخذ ما أحله الله له، يأخذ ما وصلت يده إليه، لكن لا يتنافس مع أهل البلد (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ).

جاء رجلٌ إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: - وقد وجد بيته قليل المتاع، ليس فيه كما في بيوت الآخرين - فقال له: أين متاعكم؟ قال: "لنا بيتٌ هناك تُرسِل إليه صالح متاعنا" عندنا بيتٌ آخر، تُرسِل إليه صالح متاعنا من الأعمال الصالحة، تُهيئها للبيت الأخير، للبيت الذي لسنا غرباء فيه، وإنما نحن أهله، أصحاب الجنة.

الله تعالى عندما يصف المؤمنين يوم القيامة يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (14)

(سورة الأحقاف)

لسنا غرباء في الجنة.

وعندما يصف المنحرفين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَهُمْ فِي الْمَقْصِرِ (10)

(سورة التغابن)

هُم أهلها وأصحابها، أصبحوا في دارهم، أمّا في الدنيا فكلُّنا غرباء.

الغريب لا يَأْلَف النِّعَم:

ثم الغريب أيُّها الكرام لا يَأْلَف النِّعَم، أنت من دمشق وتعرف حاراتها وأزقتها، وتعرف كل شبر فيها، وكل يوم تخرج من بيتك إلى عملك ومن عملك إلى بيتك، هل يلفت نظرك شيء في الطريق؟ أبداً، المكان معروف لا تلتفت، ولعلك تُمسِك الجوال، أو تسهوا قليلاً حتى تقطع الطريق في حافلة عامة، لا تلتفت إلى الطريق، لأنك من أهل دمشق.

لكن لو سافرت إلى بلد آخر بعيد لا تعرفه، ومضيت في شوارعه لأول مرة، فإنك لا تألف شيئاً فيه، تنظر إلى كل شيء لأنك تراه لأول مرة، تقول: ما شاء الله عندكم كذا، هذا المحل ماذا يصنع؟ هذه لماذا وضعت هنا، تُمَيِّز كل شيء لأنك غريب (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ) إِيَّاكَ أَنْ تَأْلَف النِّعَم في الدنيا، لا تجلس على مائدة الطعام كل يوم كالذي قبله، كل يوم انظر وقل: الحمد لله على نعم الله، لا تُطِلَّ من الشُّرفة صباحاً، فترى عصفوراً يطير في الهواء، ثم لا تقول: شُبحان الخالق العظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَايِّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)

(سورة يوسف)

المؤمن في الدنيا غريب، لا يَأْلَف شيئاً من مخلوقات الله، ولا شيئاً من نعم الله، يلفت نظره كل شيء.

اليوم إذا أُصِدرَ إصداً جديداً من هاتفٍ من طراز مُعَيَّن، وجاء به أول شخصي في الأسرة، تجمَّعت الأسرة حوله، لترى ماذا في هذا الطراز الجديد، ما الميَّزات الجديدة التي أُصِقت؟ هذا في شيء صنع الإنسان بفضل الله عليه، فماذا عن صنيع الله؟ ماذا عن نعم الله؟ الغريب لا يَأْلَف النِّعَم، نحن ابثلينا بمرضٍ اسمه إلف النِّعَم، تألف النِّعَم فلا نشكر الله عليها، وكم من نعمٍ لله علينا قد قصَّرتنا في شكرها لأننا ألفتها، فاللهم عَرِّفنا نِعَمَكَ بداومها لا بزوالها.

عُربة الدين:

أُيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ: هذه عُربة الدنيا، نحن في الدنيا عُرباء، وأما عُربة الدين، وتلك أعظم العُربة، أن تكون صادقاً وحولك كاذبون، فأنت غريب، أن تكون أميناً وحولك عَشَسَةٌ مُتَحَاسِدُونَ، فأنت غريبٌ بينهم، أن تكون ثابتاً على الحقِّ وحولك مُنَافِقُونَ، فأنت في عُربةٍ، أن تكون تأوي إلى مسجدٍ وحولك مَنْ يأوي إلى لَهْوٍ مُحَرَّمٍ، فأنت في عُربةٍ، هذه عُربة الدين وصاحبها محمودٌ، لأنه أعرض عن الدنيا وأوى إلى الله تعالى، في القرآن الكريم لا تجد الأكثرية ممدوحةً أبداً، أعطني آيةً واحدة مدّح الله فيها الأكثرية؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25)

(سورة لقمان)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (73)

(سورة النمل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43)

(سورة الزمر)

إِيَّاكَ وَالْأَكْثَرِيَّةَ، إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مَعَ النَّاسِ، صَالِحِهِمْ وَطَالِحِهِمْ دُونَ تَمْيِيزِ، أَمَّا الْأَقَلِّيَّةُ فَيَمْدُحُهَا الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ لِأَنَّهَا عَلَى الْحَقِّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14)

(سورة الواقعة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)

(سورة سبأ)

لا تغترّ بكثرة الهالكين، لو أنك رأيت طريقاً، وأنت تعرف أن في نهايتها حفرةً قاتلة، والناس يتهافون إليها، فهل تهوي معهم أم تقف وحدك وتترك هذه الطريق؟ الناس اليوم بالعموم - والعباد بالله - يتهافون نحو النار، بأعمالهم، باجتماعاتهم، بأكلهم الحرام، بغشهم للناس، بأكلهم الميراث، يتهافون نحو النار، فهل تكون مع الأكثر أم مع الأقل؟ إن كنت على الحقِّ فأنت الجماعة ولو كنت وحدك، الجماعة هي جماعة الحقِّ.

غُرباء الدين لهم خمسة أوصافٍ:

الغُرباء في السُّنَّة أئُها الكرام لهم خمسة أوصافٍ، غُرباء الدين لهم خمسة أوصافٍ:

الصفة الأولى: أنه يُصلح عند فساد الناس

أولاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم:

{ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء، وفي روايةٍ قيل يا رسول الله: من الغرباء؟ قال: الذين

يصلحون إذا فسد الناس، وفي لفظٍ آخر قال: هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سُنتي {

(صحيح مسلم)

أول صفةٍ في الغريب، غريب الدين، أنه يُصلح عند فساد الناس، يُصلح، ليس صالحاً لكنه مُصلِح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْفُرُؤَ يَظْلَمَ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ(117)

(سورة هود)

يُصلح من حوله ما استطاع، يُصلح في بيته، يُصلح في عمله، يُصلح في مسجده، يُصلح في شركته، يُصلح إذا فسد الناس، هذه أول صفةٍ للغريب، الناس فاسدون وهو لا يسعى إلى صلاح نفسه فحسب، ولكنه يسعى إلى الإصلاح:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْفُرُؤِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۚ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا بِهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ(116)

(سورة هود)

{ يأتي على الناس زمانٌ الصَّابِرُ فيهم على دينه كالقايض على الجمرِ {

(صحيح الترمذي)

الصفة الثانية: التمسُّك بسُنَّة رسول الله

الصفة الثانية في الغُرباء: قال صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء، وفي روايةٍ قيل يا رسول الله: من الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس، وفي لفظٍ آخر قال: هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سُنتي) الصفة الثانية في الغُرباء، تمسُّكهم بسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حادَّ الناس عنها.

كان العلماء يقولون: < أشدُّ الناس غربةً من يتمسَّك بسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال سفيان الثوري: "استوصوا بأهل السُّنَّة خيراً فإنهم غُرباء".

وكان يقول: "إذا بلغك عن رجلٍ بالمشرق صاحب سُنَّة وآخر بالمغرب، فابعت إليهما السلام، وادعو لهما ما أقلَّ أهل السُّنَّة والجماعة".

اليوم المُتمسِّك بالسُّنة ربما يُستهزأ به، ماذا تفعل؟ وهو يُحافظ على سُنَّة المُصطفى صلى الله عليه وسلم.
قال أبو بكر بن عياش: "السُّنة في الإسلام أعزُّ من الإسلام في سائر الأديان" قليل.
وكان الأوزاعي يقول: "أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة، ترققوا برحمتكم الله فإنكم من أقل الناس".

الصفة الثالثة: القلة القليلة

الصفة الثالثة في غرباء آخر الزمان: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

{ إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطَوَيْتِي لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: التَّرَاغُ مِنَ الْقِبَائِلِ }
(أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد)

(التَّرَاغُ مِنَ الْقِبَائِلِ) أي من كل قبيلة، من كل عشيرة، من كل حيٍّ، اثنان ثلاثة هؤلاء، هُم القلة.
أضرب أمثلة:

حيٌّ كبير وفيه مسجد، مَنْ يُصَلِّي الفجر في جماعةٍ صفٍّ واحد، هؤلاء غرباء، غرباء حتّهم.
سوقٌ طويل، الكل يحتال ويغشّ في البضائع، هناك تاجران يبيعان دون غشٍّ، هؤلاء هُم الغرباء.
طلابٌ في الجامعة، كل الطلاب، معظم الطلاب يُصاحب طالبٌ طالبةٌ والعيان بالله، ويَمضي معها خارج إطار شرع الله عزَّ وجل، هناك عشرات الفتيات المُحجَّبات، وعشرات الشُّبان الذين يغصّون أبصارهم عن محارم الله، هؤلاء التَّرَاغ من القبائل، القلة القليلة، والباقي يفعلون ما يحلو لهم، التَّرَاغ من القبائل هُم الغرباء.

الصفة الرابعة: الصالحون في ناس سوء كثير

الصفة الرابعة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

{ طوبى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ }
(أخرجه الطبراني وأحمد)

خطبت مرةً في بلدٍ عربي، ولَمَّا انتهيت من الخطبة، جاءني رجلٌ وكان يحضّر الخطبة دائماً، قال لي: أما مللت؟ قلت له: مِمَّ؟ قال لي: هؤلاء الذين تدعوهم ويُتابعون الخطبة، انظر ماذا يفعلون، الثَّجَار يَغشّون، محامون يأخذون قضايا باطلة، ووالى أخره.. والنساء غير مُلتزمات، وبعضهم نساؤهم غير مُحجَّبات، أراد أن يُحيطني، قلت له: أنا أعرف طبيعة الطريق، وأنا لو أمضيت عمري كله، فاهتدى رجلٌ واحدٌ فأنا الراج، أعرف طبيعة الطريق، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لي في آخر الزمان: (مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ).

الصفة الخامسة: الفرّارون بدينهم

الصفة الخامسة والأخيرة في الغرباء: قال صلى الله عليه وسلم:

{ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغُرَبَاءُ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: الْفَرَّارُونَ بِدِينِهِمْ، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ }
(أخرجه أحمد)

هؤلاء الفرّارون بدينهم بأوون إلى كهفهم، الكهف قد يكون بيتك، قد يكون مسجدك، قد يكون عملك، أَسْرَتِكَ، زوجتك، تأوي إلى الكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يُغْتَدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا (16)

إِذَا الْغُرَبَاءُ هُمْ الْمُصْلِحُونَ أَوَّلًا، ثَانِيًا الْمُتَمَسِّكُونَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَالِثًا هُمُ الْقَلَّةُ، الصَّالِحُونَ فِي نَاسٍ سَوِيٍّ كَثِيرٍ، أَخِيرًا الْفَرَّارُونَ بِدِينِهِمْ. فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَحْطِيَ بِغُرَيْفٍ مَحْمُودَةٍ فِي الدِّينِ، فَأَصْلِحْ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، تَمَسَّكْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْهَا، كُنْ مَعَ الْقَلَّةِ النَّاجِيَةِ لَا مَعَ الْأَكْثَرِيَةِ الْهَالِكَةِ، اهْزُبْ بِدِينِكَ مِنْ مُسْتَنْقَعَاتِ الْإِثْمِ وَالْفُجُورِ، وَمَهَاوِي الْهَلَاكِ، اهْزُبْ بِدِينِكَ إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

عُربة الوطن:

وَأَمَّا الْعُربَةُ الثَّالِثَةُ فَهِيَ عُربَةُ الْوَطَنِ: وَاللَّهُ تَعَالَى رَكَّزَ فِي أَعْمَاقِنَا حُبَّ أَوْطَانِنَا، قَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنَبُّيًّا (66)

(سورة النساء)

فربط قتل النفس مع الخروج من الديار، لأنَّ الإنسان يُنْتَرَعُ مِنْ دَارِهِ كَأَنَّمَا يُنْتَرَعُ رُوحُهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ قَالَ:

{ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهوَ وَاقِفٌ بِالْخَزْرَةِ فِي سَوْقٍ مَكَّةَ وَهوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ

ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت }

(أخرجه أحمد وابن ماجه)

اللهم آميناً في أوطاننا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ، وَعَلِّمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّأَ إِلَى غَيْرِنَا وَسَيَتَخَطَّى غَيْرِنَا إِلَيْنَا فَلْيَسْتَجِدْ جِذْرِنَا، الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي، وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إِنَّكَ يَا مَوْلَانَا سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ لِلدَّعَوَاتِ.

اللهم بِرَحْمَتِكَ عُمَّنَا، وَافْعَلْنَا اللَّهُمَّ شَرًّا مَا أَهَمَّنَا وَأَعَمَّنَا، وَعَلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ وَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَوَقَّنَا، نَلْقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِمَّا اسْتَغَاذُكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللهم يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ كُنْ لَأَهْلِنَا الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي عِزَّةٍ فِي فِلَسْطِينَ، كُنْ لَهُمْ عَوْنًا وَمُعِينًا، وَنَاصِرًا وَحَافِظًا وَمُؤَيِّدًا وَأَمِينًا.

اللهم عَلَيْكَ بِالصَّهَابَةِ الْمُعْتَدِينَ وَمَنْ وَقَفَ مَعَهُمْ وَمَنْ أَيْدَاهُمْ فِي سَرٍّ أَوْ عَلَنٍ.

اللهم اغفر لنا تقصيرنا بحقِّ إِخْوَانِنَا فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِحَالِنَا.

اللهم أَطْعِمْ جَائِعَهُمْ، وَاكْسُ عَرِيَانَهُمْ، وَارْحَمْ مُصَابَهُمْ، وَأَوْ غَرِيبَهُمْ، وَاجْعَلْ لَنَا فِي ذَلِكَ عَمَلًا مُتَقَبَّلًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللهم أَصْلِحْ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةَ، اللَّهُمَّ اكْتُبْ السَّلَامَةَ وَالْأَمْنَ لِبِلَادِنَا، وَابْعِدْ عَنْهَا مَكْرَ الْمَاكِرِينَ، وَحَسَدَ الْحَاسِدِينَ، وَكَيْدَ الْكَائِدِينَ.

اللهم وَفِّقْ مَنْ وَلَّيْتَهُمْ أُمُورَنَا إِلَى خَيْرِ دُنْيَانَا وَأُخْرَانَا، عَامِلِينَ بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.